بعض المشكلات الاجتماعية وتطبيقات لحلها في الإسلام

صور الإسلام المسئولية فأحسن تصويرها، وقررها فأحسن تقريرها، وأحاط بأسبابها ونواحيها، وألز المجتمع والأفراد بها، باعتبارها ناشئة عن عقيدته وإيمانه، وجعلها مرتبطة بالمجتمع ديناً، يعاقب على إهمالها في دنياه وأخراه، ففي الدنيا تفريط بالمجتمع يترتب عليه ضياعه وهوانه، وفي الآخرة معاقبة على هذا التفريط بالعذاب الأليم.

والمسئولية شاملة في الإسلام، تشمل الأعمال والأحوال، وتشمل ما استكن في الضمائر، أو ماباحت به السرائر. قال تعالى: ﴿**ويقولون يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها، ووجدا ما عملوا حاضراً، ولا يظلم ربك أحداً**﴾[1]. ومهما قل التقصير إلى إستطارة الأمر، واستفاضة الشر، قال تعالى: ﴿**وكل شيء فعلوه في الزبر، وكل صغير وكبير مستطر**﴾[2]. ولذلك لا بد أن يرى الصغيرة مهما كانت صغيرة، كما يرى الكبيرة التي عظمت أمام عينيه، وسيحاسب عليها يوم القيامة، قال تعالى: ﴿**فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره**﴾[3]. وفي ذلك أبلغ وازع لإيجاد الشعور بالمسئولية نحو المجتمع من الفرد ومن المجتمع نحو الأفراد، رعاه الإسلام ونماه، وشرع له من الأحكام ما يجعله ذا نمو مضطرد على قواعد ثابتة، وأسس متينة عادلة، وقد سبق الإسلامُ بهذه الرعاية والتنمية وتقعيد القواعد له كلَّ النظم والشرائع، فكان

---

(١) الكهف ٤٩.

(٢) القمر: ٥٢-٥٣.

(٣) الزلزلة ٧-٨.

لذلك أثره الفعال في تكافل المجتمع وتسانده وتماسكه، ومما يتعلق بذلك أن نتناول بالبحث بعض المشكلات الاجتماعية وعرض تطبيقات لحلها من خلال المنظور الإسلامي الذي يؤكد على المسؤولية الفردية والاجتماعية ومنها:

مشكلة الجهل والتخلف:

الجَهْلُ: ضد العلم وقد (جَهِلَ) من باب فَهِمَ وسَلِمَ و(تجاهل) أرى من نفسه ذلك وليس به. و(استجهله) عده جاهلاً واستخفه أيضاً. و(التجهيل) النسبة إلى الجهل[1].

وقد جاء هذا المعنى في الذكر الحكيم على لسان موسى عليه السلام مخاطباً بني إسرائيل، يقول تعالى: ﴿**قالوا أتتخذنا هزواً قال أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين**﴾[2]. وكما جاء على لسان يوسف الصديق عليه السلام في قوله: ﴿**وإلا تصرف عني كيدهن أصب إليهن وأكن من الجاهلين**﴾[3].

وما ألم الآن بالمسلمين من جهل، وشاع بينهم، ذلك مرده إلى أنهم صرفوا عن منابع العلم والنور الذين جاء به الإسلام، واتباعهم على ضلال غيرهم من الأمم ذات الحضارات البراقة، والتي أغوت عيونهم وعقولهم بما لا يسمن ولا يغني من علم، فتسارعوا في التقليد والنقل بغير وعي ولا رشاد، بل أنهم تكاسلوا في طلب العلم النافع في الدنيا والآخرة، بحيث أصبحوا ذيولاً للغرب وغيره من الأمم.

التخلف: يعني التخلف بمفهوم العصر هو عدم متابعة وملاحقة تطورات الحياة الحديثة والبعد عنها، وفي ذلك الأمثلة كثيرة، فقد كان المسلمون الأوائل

---

(١) مختار الصحاح: محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي، ٤٩، مكتبة لبنان.

(٢) البقرة: ٦٧.

(٣) يوسف: ٣٣.

مشاعل الحضارة الإنسانية في نواحي العلوم كافة. وفي علوم اللغة والتاريخ سبق المسلمون الأوائل غيرهم في علم التوثيق والإسناد وتدقيق وتدوين المعارف.

وما لحق الآن بالمسلمين من تخلف في مظاهر الحياة المدنية كافة، إنما هو لصرفهم - كما أسلفنا - عن طلب العلم والتعلم الذي هو أساس الدين، «فطلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة» وكما قيل: «الحكمة ضالة المؤمن»، وبصد المسلمين وقعودهم عن العلم والعمل الجاد، أصبحوا نهباً لغيرهم من شرار الأمم، فأصبحوا ذيولاً لغيرهم من الأمم تبعاً لهم، تقليداً ونقلاً بلا وعي أو صواب في معظم الأمور.

ولقد حرص الإسلام أشد الحرص على مقاومة ومحاربة الجهل وقرينه التخلف، ولقد كان من الأشياء الداعية للتأمل والتدبر أن أول ما نزل من الوحي القدسي الكريم قوله تعالى: ﴿**إقرأ باسم ربك الذي خلق * خلق الإنسان من علق * اقرأ وربك الأكرم * الذي علم بالقلم * علم الإنسان ما لم يعلم**﴾[1]. ويقص الخالق سبحانه وتعالى علينا في سورة البقرة قصة خلقه لآدم عليه السلام واستخلاف المولى سبحانه له في الأرض، وكان استخلافه عن علم وحكمة من المولى فيقول في ذلك: ﴿**وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين * قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم * قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم إني أعلم غيب السموات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون**﴾[2].

الإسلام والتربية العقلية:

التربية العقلية هي التي تهتم بالعقل وتغذيه وتمده بأسباب نشاطه وحيويته، وتعطيه القدرة على النظر والتأمل والتدبر والتحليل والاستنتاج، أي تنمية قدراته واستعداداته.

---

(١) سورة العلق: ١-٥.

(٢) سورة البقرة: ٣١-٣٣.

والعقل هو القوة المتهيئة لقبول العلم، أو تنمية هذا العلم هو ما نعنيه، والأصل في التربية الإسلامية للعقل أن يسبقها الإيمان فيعمر القلب أو العقل أو الفؤاد، ثم يكون الاهتمام بالعلم والمعرفة، ومن كان الإيمان عنده متأخراً عن العلم والمعرفة فمن النادر أن يستفيد في العبادة والعمل، وذلك هو الخسران والعياذ بالله من كل شر[1].

روى ابن ماجه بسنده عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: أثنى قوم على رجل عند رسول الله ﷺ حتى بالغوا، فقال النبي ﷺ: «كيف عقل الرجل؟» قالوا: نخبرك عن اجتهاده في العبادة وأصناف الخير، وتسألنا عن عقله؟ فقال ﷺ: «إن الأحمق يصيب بجهله أكثر من فجور الفاجر، وإنما يرفع العباد غدا في الدرجات الزلفي عند ربهم على قدر عقولهم»[2].

وروى ابن ماجه أيضاً بسنده عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: لكل شيء دعامة، ودعامة المؤمن عقله، فبقدر عقله تكون عبادته، أما سمعتم قول الفجار في النار: ﴿**لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير**﴾[3].

إن الإيمان ينبغي أن يسبق العقل قبل العلم والمعرفة، وإذا كان العقل هو الذي ميز الله به الإنسان عن الحيوان وجعله مناط التكليف إذ أسقط التكليف عن غير العاقل، فلا بد أن تكون للإسلام عناية، بل عناية فائقة بتربية العقل.

إن الإسلام يربي العقل عن طريق الشرع، ولا يمكن أن يتضمن الشرع شيئاً يناقض العقل، وذلك أن الشرع دائماً في صالح الإنسان في دينه ودنياه، ولا يتصور مع هذا تناقض بين الشرع والعقل.

---

(١) تربية الناشئ المسلم، علي عبدالحليم محمود.

(٢) رواه الإمام الترمذي في النوادر مختصراً.

(٣) الملك: ١٠.

كيف يربي الإسلام العقل؟

إن الإسلام وهو يربي العقل يقرر أن هذا العقل من أكبر نعم الله على الإنسان بعد نعمة الإسلام، وقد روى عن رسول الله ﷺ: «. . . وإنما يرتفع العباد غداً في الدرجات الزلفى عند ربهم على قدر عقولهم»[1].

وقد قام الإسلام في مجال تربية العقل ومواجهة مشكلتي التخلف والجهل، قام الإسلام بأعمال ثلاثة رئيسة وهي:

- الأول: تحرير العقل من الخرافة والدجل والتبعية والتقليد، وتنقيته من كل ذلك.
- والثاني: تحديد مسار العقل في الاتجاه الذي يطيق السير فيه، واعفاؤه مما لا يطيق؛ لأن الله لا يكلف نفساً إلا وسعها.
- الثالث: تحديد المنهج الصحيح للنظر العقلي وتسديده في ذلك.

العمل الأول:

١ - تحرير العقل من الخرافة والدجل والتبعية والتقليد:

كما ذكرنا سابقاً أن الإسلام قام - منذ نزلت كلماته الأولى وحياً على خاتم الأنبياء - على أساس احترام عقل الإنسان وفكره، قال تعالى: ﴿**اقرأ باسم ربك الذي خلق * خلق الإنسان من علق * اقرأ وربك الأكرم * الذي علم بالقلم * علم الإنسان ما لم يعلم**﴾[2].

إن الإسلام شجع على الفكر والتفكر بل اعتبر ذلك من العبادة ما دام التفكير فيما يقدر عليه العقل مما هيء له، (فقد روى أبو هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «بينما رجل مستلق على فراشه، إذ رفع رأسه فنظر إلى

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) العلق: ١-٥.

النجوم و إلى السماء فقال: أشهد أن لك رباً خالقاً، اللهم اغفر لي، فنظر الله إليه فغفر له)[1].

وفى مقاومة الجهل والتخلف في أمور الدنيا والدين، والبحث والسعي وتحصيل العلم النافع في أعمال التمدن والحضارة والاعتماد على الذات، نجد الإسلام يحض على ذلك، ويوجب التفكر في أمور الدنيا لعمارة الأرض، كما جاء في قول المولى سبحانه وتعالى: ﴿**هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها**﴾[2]. (أي جعلكم عمارها وسكانها . . . ، وقال ابن العربي: قال بعض علماء الشافعية: الاستعمار طلب العمارة والطلب المطلق من الله على الوجوب)[3].

إن المسلم الذي يمتنع عن هذا التفكر وهو قادر عليه آثم عصى الله سبحانه فيما أوجب عليه من إعمار الأرض، ولو فقه المسلمون اليوم هذا المطلب لما سبقهم أحد من الناس إلى كشف أو اختراع، كما كانوا كذلك يوم كانوا على هذا الفقه للدين، فخلفوا للإنسانية في مجال العلم والكشف والاختراع ما استطاع الغرب أن يقيم على أسسه نهضته العلمية، ثم زاد عليها.

٢ - تحديد مسار العقل في الاتجاه الذي يطيق العقل السير فيه:

إن الإسلام - في سبيل معاونة العقل وتسديده - يحدد له مساره واتجاهه، ولا يدعه يشتط ويجنح فيورط نفسه فيما لا يقدر عليه وفيما لم يخلق تيسراً له.

وللإسلام في ذلك منطق جيد؛ لأن العقل إذا طفق يفكر فيما لا يستطيع الوصول إليه وقع في الأخطاء والسلبيات التالية:

١ - تبديد الجهد والطاقة في غير فائدة، وذلك يشبه من يحرث في بحر أو ينقش على ماء.

---

(١) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن الكريم: ٤/ ٣١٤.

(٢) سورة هود: ٦١.

(٣) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن: ٩/ ٥٦.

٢ - وإعطاء فرصة للعقل أن يخطىء ويضطرب ويشعر بالعجز، فيدخل بذلك في الضلال.

٣ - وتعويد العقل على الجنوح والاشتطاط، مما يصيبه بالقلق والبعد عن الواقع.

وعلى سبيل المثال فإن العقل أعجز من أن يتصور لذات الله سبحانه وتعالى شكلاً أو حيزاً أو بداية أو نهاية ولذلك ورد في السنة النبوية ما رواه أبو الشيخ بسنده عن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما أن قوماً تفكروا في الله عز وجل فقال النبي ﷺ: «تفكروا في خلق الله، ولا تتفكروا في الله، فإنكم لن تقدروا قدره».

غير أن ذلك ليس معناه أن الإسلام يحجر على العقل أو الفكر، وإنما معناه تسديده مسار العقل حتى لا يدخل في متاهات تضره ولا تنفعه، وإنما فعل الإسلام ذلك عصمة للعقل عن الضلال والضياع وإقناعاً له بأن من الحق أن يتوقف عند حدود ما فطره الله عليه ومكنه منه.

٣ - تحديد المنهج الصحيح للنظر العقلي وتسديده:

وذلك بكل الوسائل المشروعة - من جهة نظر الإسلام - التي تؤدي إلى تحقيق هذا الهدف، وإنما يكون ذلك بما يلي:

أ - دعوة العقل إلى الأخذ بأسباب العلم: إن ذلك يؤكد أن الإسلام يشجع العلم ولا يحاربه كما فعلت بعض الأديان، والسر في ذلك أن الإسلام لا يخشى أبداً من العلم ولا مما يكشف عنه من مخترعات، بل يعتبر ذلك تأكيد له ولإيمان الذي يدعو إليه. والذين يتهمون الإسلام بما اتهم غيره من الأديان في محاربة العلم، وهي تهمة باطلة لا يقوم عليها دليل أو برهان. وإن أقوى الردود عليهم هو التعرف على التاريخ الحضاري للإسلام، فلقد كانت الحضارة التي أقامها المسلمون باسم الإسلام تضمنت بغير أدنى مبالغة - بناء نهضة علمية عميقة واسعة شملت كل مرافق الحياة الإنسانية.

ب - **دعوة الإسلام إلى التأمل والنظر في سنن الله في خلقه**: وتلك تربية للعقل المسلم عن طريق إطلاعه على هذه السنن الإلهية في مخلوقات الله سبحانه، وهي أحسن الوسائل لكي يتعرف العقل البشري على التاريخ وما فيه ومن فيه، فيفيد من ذلك ما يزيده قدرة وينمي فيه الإحساس بهذه السنن، ذلك مصداقاً لقوله: **﴿قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق ثم الله ينشىء النشأة الآخرة إن الله على كل شيء قدير﴾**(١).

ج - **الدعوة إلى تدبر حكمة الله في الخلق ونواميس الكون**: وهي تربية عقلية تطبع بطابع الدقة والنظام، وذلك أن هذه الحكمة وتلك النواميس تجري على سنن ثابتة ونظام دقيق لا يتخلف ولا يختل؛ لأنه من سنن الله سبحانه. ودعوة الإسلام العقل إلى أن يتأمل في الخلق والتدبير، ليس المقصود منه مجرد التأمل والتدبر، وإنما القصد تنوير العقل بهذا التأمل والتدبر، وإيقاظ القلب، وتصفية الروح من الشوائب، ليستطيع الإنسان أن يقيم على هذه الأرض حياة إنسانية كريمة، تليق بتكريم الله سبحانه للإنسان. وفي ذلك يقول المولى: **﴿أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً وأنكم إلينا لا ترجعون * فتعالى الله الملك الحق لا إله إلا هو رب العرش الكريم﴾**(٢).

د - **دعوة الإسلام العقل إلى تدبر حكمة التشريع**: قال الله تعالى: **﴿وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون﴾**(٣). إن الإسلام يتيح للعقل أن يتفكر ويتأمل ويتدبر حتى في حكمة التشريع وأن يتدبروا ما جاء فيه.

وقال تعالى: **﴿كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولوا**

---

(١) سورة العنكبوت: ٢٠.

(٢) سورة المؤمنون: ١١٥-١١٦.

(٣) سورة النحل: ٤٤.

الألباب﴾[1] هـذا العقل الذي احترمـه الإسـلام طـالبه بأن يتحـرر من الـدجل والخرافـة ودعوى علم الغيب والتبعيـة والتقليـد، روى الإمام مسلم بسنـده عن معاويـة بن الحكم السلمي رضي الله عنـه قال: قلت: يـا رسول الله، أمـور كنا نصنعها في الجاهليـة، كنا نأتي الكهـان، قال: «فـلا تأتوا الكهـان» قلت: كنا نتطيّر، قال: «ذاك شيء يجده أحدكم في نفسه فلا يصدنكم».

ومن الآيات الـدالة على إبطال التقليد قـوله تعالى: ﴿**وإذا قيل لهم اتبعـوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع مـا ألفينا عليه آباءنا أو لو كـان آباؤهم لا يعقلون شيئاً ولا يهتدون﴾**[2].

إن الإسلام يطالب العقل بألا ترد إليه معلومة فيصدقها إلا بعد تثبت وتأكد، في قولـه تعالى: ﴿**ولا تقف مـا ليس لك بـه علم إن السمع والبصر والفـؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا﴾**[3].

---

(١) ص: ٢٩.

(٢) البقرة: ١٧٠.

(٣) الإسراء: ٣٦.

obeikandl.com